الصراع الروسي ـ الانجليزي حول المضايق في ١٩١١

الدكتور هاشم التكريتي
مدرس في قسم التاريخ

كانت الدولة العثمانية قد وصلت في بداية القرن العشرين الى درجة من الضعف بحيث لم تعد تشكل خطرا في المجال العسكرى على أى من الدول الاوربية ، بل بالعكس كانت تبعيتها لاوربا واستغلال الدول الاوربية لها يزدادان من سنة لاخرى ، غير ان ذلك بالذات ، ونعني اشتداد ضعف الدولة العثمانية وازدياد تبعيتها ، كان يزيد من قلق الدول الاوربية لانها وهى بهذه الحالة يمكن ان تصبح رأس جسر لاحدى هذه الدول تنطلق منه ضد خصومها من الدول الاخرى •

ولهذا فان جميع الدول الاوربية الاستعمارية كانت تسعى جاهدة لان تقوى نفوذها وترسخ مكانتها في الامبراطورية العثمانية المترامية الاطراف • وكانت روسيا القيصرية في مقدمة الدول الطامعة في الدولة العثمانية والمتكالبة على اقتسام ممتلكاتها وقد تركزت اطماعها في قضيتين رئيسيتين : احداهما الحصول على امتيازات لبناء السكك الحديدية في الاناضول والثانية حل مسألة المضايق بما يتفق ومصالح الاستعمار القيصرى • لقد كانت هاتان المسألتان هما القضيتان الاكثر أهمية والاكثر الحاحا في السياسة الروسية في منطقة الشرق الادنى ، وقد أشار الى ذلك صراحة وزير الخارجية الروسية بالوكالة نيراتوف في رسالة كتبها الى زميله كوكوفتسوف وزير المالية في ٧ آب ١٩١١ حيث جاء في تلك الرسالة قوله : « ليس بناء السكك الحديدية في تركيا هو وحده الذى يهدد مصالحنا وانما يهددنا ايضا الاهتمام المتزايد الذى أخذت الحكومة التركية تبديه مؤخرا لتقوية اسطولها

الحربي • ومن وجهة النظر هذه ربما يكون من المفيد جدا ان نجعل موافقتنا على بناء السكك الحديدية في آسيا الصغرى مشروطة بموافقة الباب العالى ـ مبدئيا على الاقل ـ على فتح المضايق لنا ••• »[1] •

وعلى هذا الاساس دأبت الحكومة الروسية منذ أواخر القرن التاسع عشر على العمل من أجل التوصل الى حل هاتين القضيتين بما يتفق ومصالحها الاستعمارية فنجحت في ٣١ آذار ١٩٠٠ في عقد اتفاقية مع الحكومة العثمانية التزمت هذه الاخيرة بموجبها بمنح الروس امتيازات لبناء السكك الحديدية على ساحل البحر الاسود من جهة الانضول بنفس الشروط التي تتمتع بها شركة الانضول الالمانية لبناء السكك الحديدية • غير ان هذه الاتفاقية لم تشمل المنطقة الممتدة من ادابازار الى هرقليا ولم تشمل ايضا مدن : انقرة وقيصرية وسيواس وخربوط وديار بكر ووان •

اما عن القضية الاخرى ونعني بها قضية المضايق فقد كانت لفترة طويلة فى مقدمة القضايا الملحة التى كان على الدبلوماسية الروسية ان تحلها ، فالحكومة الروسية كانت على الدوام تعتبر الموانىء البلقانية الواقعة على البحر الاسود قواعد طبيعية لها[2] وتعتقد بأن « من يمتلك المضايق لن تكون في يديه مفاتيح البحرين الاسود والمتوسط فحسب وانما سيمتلك ايضا امكانية السيطرة على آسيا الصغرى والسيادة في البلقان »[3] كما كتب وزير الخارجية الروسية سازوف في احد تقاريره الدورية الى القيصر نيقولا

---

(١) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، وثائق من ارشيفات الحكومتين القيصرية والمؤقتة ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ١ ، ص ٣٠٥ـ٣٠٦ (بالروسية) •

(٢) القسطنطينية والمضايق حسب الوثائق السرية لوزارة الخارجية السابقة ، باشراف آ • اداموف جـ٢ ، موسكو ، ص ٣ ، حاشية ١ (بالروسية) •

(٣) الارشيف الاحمر ، جـ ٦ ، ١٩٢٤ ، ص ٧١ـ٧٢ (بالروسية) •

الثاني • ومن هنا تبدو مفهومة جهود الحكومة الروسية المحمومة للتخلص من اتفاقية برلين التي منعت مرور السفن الحربية من خلال المضايق وسعيها الحثيث للحصول على منفذ حر الى البحر المتوسط وذلك لا يتأتى الا بالسيطرة على مضيقي البسفور والدردنيل او على الاقل تغيير نظام الملاحة فيهما •

وعندما قامت ثورة الاتحاد والترقي فى تركيا فى ١٩٠٨ رأت الدول الاستعمارية فيها فرصة مناسبة لتحقيق مخططاتها التوسعية على حساب الدولة العثمانية ، لذا اعتبرت الدبلوماسية الروسية بان الوضع الذى نجم عن هذه الثورة سوف يسهل لها التوصل الى الحل الذى تبتغيه لمسألة المضايق • وعلى هذا الاساس قام ازفولسكي وزير الخارجية الروسى آنذاك بجولة فى الاقطار الاوربية زار خلالها النمسا وفرنسا وبريطانيا وهدف من ورائها الى استحصال موافقة هذه الدول على تغيير نظام المضايق• غير ان ازفولسكي فشل فى تحقيق مهمته وكان السبب الاول فى هذا الفشل هو الموقف المتصلب الذى وقفته الحكومة البريطانية فى هذه القضية ، فبعد محادثات طويلة اجراها ازفولسكي مع وزير الخارجية البريطاني ادورد كرى سلمه هذا الاخير فى ١٤ تشرين الاول ١٩٠٨ مذكرة سرية عرضت فيها الحكومة البريطانية وجهة نظرها فى هذه المسألة(٤) • وقد تضمنت

---

(4) British Documents on the Origins of War 1898-1914. Edited by G. P. Gooch and Harold Temperley, vol. V, P. 424.

انظر ايضا :
القسطنطينية والمضايق ••• جـ٢ ، ص ٥ ، حاشية ١ ؛
العلاقات الدولية ١٨٧٠–١٩١٨ ، مجموعة وثائق جمعها آ • ك • كورولیوف و و • ن • فريفيلد ، باشراف • م • خفستوف ، موسكو ، ١٩٤٠ ، ص ١٩١–١٩٢ (بالروسية) ؛
مواد فى تاريخ العلاقات الفرنسية – الروسية فى ١٩١٠–١٩١٤ ، مجموعة وثائق دبلوماسية سرية لوزارة خارجية الامبراطورية الروسية السابقة ، موسكو ١٩٢٢ ، ص ٥٣٠ (بالروسية) •

المذكرة النقاط التالية :

١ ـ ان الحكومة البريطانية لا تعارض من حيث المبدأ فى فتح المضايق ولكن لا لروسيا والدول الواقعة على البحر الاسود فقط وانما على اساس المساواة التامة للجميع دون استثناء •

٢ ـ ان الحكومة البريطانية لا تعتبر الوقت مناسباً لعقد اتفاقيه تمنح روسيا حقا استثنائيا فى هذه القضية •

٣ ـ من الضرورى ان توافق الدولة العثمانية على اى اقتراح يتعلق بالمضايق •

واضطرت الحكومة الروسية الى ان تستكين على مضض لوجهة النظر البريطانية وان تتخلى موقتاً عن مطالبها بشأن المضايق واخذت تنتظر فرصة اكثر ملاءمة لتحقيق تلك المطالب • وجاءت هذه الفرصة عندما قررت ايطاليا فى ٢٨ ايلول ١٩١١ احتلال ولاية طرابلس فقامت بسبب ذلك الحرب التركية ـ الايطالية ١٩١١ ـ ١٩١٢ •

لقد اظهرت هذه الحرب بشكل واضح عزلة الدولة العثمانية دبلوماسيا ذلك انها لم تستطع ان تحصل على مساعدة أى من الدول الاوربية فى كفاحها ضد اطماع الاستعمار الايطالى فى حين كانت ايطاليا قد حصلت مسبقا على موافقة الدول الاوربية الكبرى جميعها قبل ان تقرر القيام بمغامرتها فى طرابلس • وعندما قامت الحرب فعلا سارعت تلك الدول وكل منها تحدوها اسباب خاصة الى اعلان الحياد الذى كان بتأثير تلك الاسباب حيادا ودياً تجاه ايطاليا • وبالنسبة لبريطانيا ارادت الدبلوماسية البريطانية استغلال قيام الحرب التركية ـ الايطالية لتحقيق واحد من ابرز الاهداف التى كان الساسة الانجليز يسعون جاهدين لتحقيقها قبل الحرب العالمية الاولى وهو ابعاد ايطاليا عن الحلف الثلاثى وجذبها الى معسكر

الوفاق الودى الذى تتزعمه بريطانيا • وبما ان كرى كان يعلم جيدا بان ايطاليا لن تترك المانيا وتنضم الى بريطانيا الا اذا استطاع ان يلوح لها بغنيمة دسمة فانه قرر ان يستغل مطامعها فى طرابلس لتحقيق هذا الهدف ، ولهذا نجده حتى قبل قيام الحرب يؤكد للايطاليين اكثر من مرة بان بريطانيا تساند مطاليبهم فى طرابلس وبانه ليس فى نية حكومته التدخل حتى لو سمحوا لانفسهم باحتلال تلك الولاية(٤) • وعندما قامت الحرب سارع فاصدر تعليماته الى الدبلوسيين الانجليز مؤكدا لهم بان « من المهم جدا ان لا نقف لا نحن ولا فرنسا ضد ايطاليا الآن »(٥) • صحيح ان الحكومة البريطانية لم تستطيع الضغط على تركيا لكونها تمتلك فيها مصالح واسعة ولخوفها من اثارة المسلمين القاطنين فى مستعمراتها الا انها كانت بالمقابل ترفض باصرار كل محاولة للضغط على ايطاليا وهى الدولة المعتدية ولم تكتف بذلك فقط بل تعدته الى اتخاذ بعض الاجراءات التى من شأنها أن تسهل للايطاليين احتلالهم لطرابلس •

ووقفت بقية الدول الاوربية الكبرى من تركيا فى محنتها موقفا مشابها من حيث الاساس لموقف بريطانيا الامر الذى هيأ لايطاليا افضليات كبيرة فى صدامها مع تركيا حتى ان وزير الحربية التركية محمود شوكت باشا قال وهو يشعر بالاسى : « ان ايطاليا تتمتع بموقف رائع وتستطيع ان تفعل ما يحلو لها »(٦) •

لقد خلقت الحرب التركية ـ الايطالية فى الشرق الادنى وضعا يدفع

---

(٤) انظر مثلا : British Documents, Vol. IX 1, minute P. 266; G. Giolitti The memoirs of my life, London and Sydiey, 1923, PP. 263-264.

(5) British Documents, Vol. IX Pt. 1, P. 274.

(6) Ibid; PP. 392-393.

روسيا باتجاه التفاوض مع الدولة العثمانية ذلك ان الاوساط الحاكمة فى روسيا القيصرية كانت تخشى من ان يوسع الاسطول الايطالى عملياته الحربية ويقصف المضايق الامر الذى يؤدى الى الاضرار بالمصالح الاقتصادية الروسية(٧) التى كانت قد تأثرت فعلا عندما عمدت الحكومة العثمانية الى اغلاق المضايق لفترة قصيرة بسبب الحرب • وعلى هذا الاساس اعتقد الدبلوماسيون الروس الذين كانوا يسعون لدرء الاخطار التى تهدد التجارة الروسية ولاستغلال الوضع الناجم عن الحرب بما يتفق ومصالح الاستعمار القيصرى بان الوقت قد حان للعمل من اجل تحقيق جملة من المطالب التى كانت القيصرية الروسية تسعى لتحقيقها وفى مقدمتها قضية بناء السكك الحديدية فى آسيا الصغرى وقضية المضايق •

ففيما يتعلق بالقضية الاولى بدأت بعد ثورة ١٩٠٨ فى تركيا وعلى الاخص اعتبارا من ١٩٠٩ تتردد بين الاوساط الحاكمة فى الدولة العثمانية بعض الآراء الداعية الى الغاء القيود التى تفرضها اتفاقية ١٩٠٠ بين روسيا والدولة العثمانية وهى الاتفاقية التى سبقت الاشارة اليها • وبدأت هذه الآراء بسبب زيادة التغلغل الالمانى والفرنسى والامريكى فى الدولة العثمانية ، تحرز انصارا كان عددهم يتزايد باستمرار ، فاضطرت الحكومة الروسية التى لم تكن ترغب آنذاك بالدخول فى نزاع سافر مع الدولة العثمانية الى الموافقة بعد مفاوضات طويلة على ان يقوم الفرنسيون ببناء السكك الحديدية فى المنطقة المحرمة • وعلى هذا الاساس عقدت اتفاقية خاصة حول هذا الموضوع بين الدولة العثمانية وفرنسا •

---

(٧) فى الفترة ٩٠٣-١٩١٢ صدر عن طريق البسفور والدردنيل ٣٧٪ من جميع البضائع التى صدرتها روسيا بما فى ذلك من ٦٠-٧٠٪ من صادرات الحبوب الروسية - ز٠ب٠ ياخيموفتش ، الحرب التركية-الايطالية ١٩١١-١٩١٢ • ترجمة هاشم صالح التكريتى ، بيروت ١٩٧٠ ، ص٢٣٧ ، هامش ١٢٣ •

اما بالنسبة لقضيـة المضايق فقـد اعتقد الدبلوماسـيون الروس وفى مقدمتهم السفير الروسى فى اسطنبول تشاريكوف بان خطر الهجوم عـلى المضايق وقصف العاصمة العثمانية من جانب الاسطول الايطالى سـيدفـع الحكومة العثمانية الى اتخاذ موقف اكثر اعتدالا تجاه المطالب الروسية بل ربما سيدفعها الى التحالف مع روسيا بامل الحصول على مساندتهـا ضـد ايطاليا ، وقد شجعهم على هذا الاعتقاد الحملة الواسعة التى شنتها الصحف التركية آنذاك لصالح التقارب مع روسيا .

وعلى هذا الاساس ذكر تشاريكوف لحكومته فى رسالة مسهبة كتبهـا الى نيراتوف بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩١١ بان الوضع الناجـم عـن الحـرب التركية ـ الايطالية جعل « من الممكن استغلال تصرف ايطاليا للسير خطوة جديدة على طريق تحقيق المصالح الروسية الجذرية فى حل واحدة مـن اقدم واهم مسائل سياسة روسيا الخارجية الا وهى مسألة المضايق» (٨) . وارتأى تشاريكوف فى الوقت نفسه بان من الضرورى الحصول على موافقة الدول الاوربية الاخرى على التغيير الذى تريد روسيا ان تجريه فى نظام المضايق معتقداً بان « معاهدات باريس ولندن وبرلين جعلـت مـن مسألة المضايق قضية من قضايا القانون الدولى التى يمكن حسب وجهـة النظـر الروسية ان تتغير بموافقة الدول الموقعة على تلك المعاهدات » وبأن « الاتفاق مع الدول مسبقا مفيد ايضا لان التوصل الى مثل هذا الاتفاق سـيؤدى الى عزلة تركيا قليلا او كثيرا تجاه روسيا الامـر الذى سـيجعلها اكثـر تساهلا »(٩) . لقد كان تشاريكوف واثقا من ان هذه الدول عموما ستساند روسيا فى مطلبها هذا وثقته هذه نابعة من اعتقاده بان فرنسا ستساند روسيا

---

(٨) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٠ـ٥٤ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٥٢ .

طالما ان هذه الاخيرة ستقف الى جانبها فى النزاع الفرنسى ـ الالمانى حول مراكش وان بريطانيا التى حشدت قواتها البحرية فى بحر الشمال وتركت لفرنسا الاهتمام بالمصالح البريطانية والفرنسية فى البحر المتوسط لن تخشى امكانية ظهور السفن الحربية العائدة لروسيا ـ حليفة فرنسا ـ فى البحر المتوسط بل ربما كان ذلك عملا مرغوبا به من قبل الانجليز(١٠) . أما عن المانيا والنمسا ـ المجر فان تشاريكوف اعتقد بأنهما ستطالبان بتعويض ما مقابل الاعتراف لروسيا « بمصالحها الخاصة » فى المضايق ولهذا فأنه كان يرى بان نتيجة المفاوضات ستعتمد على مدى كون هذه التعويضات مقبولة من جانب الحكومة الروسية ومساوية من حيث القيمة للفوائد الناجمة عن حل مسألة المضايق لصالح روسيا(١١) . واما بالنسبة لايطاليا فقد نصح تشاريكوف بان تكون اول دولة تفاتحها حكومته بهذا الشأن وحجته فى ذلك ان غزوها لطرابلس لا يزال فى مرحلته الاولى الامر الذى يجعلها مهتمة بان يكون موقف روسيا منها وديا(١٢) .

وكانت بطرسبورغ تشارك سفيرها فى اسطنبول فى ان الموقف الدولى أصبح بعد قيام الحرب التركية ـ الايطالية ملائما لاجراء المفاوضات مع الدولة العثمانية . وقد عبر عن ذلك وزير الخارجية الروسية بالوكالة فى رسالته التى ارسلها الى تشاريكوف بتاريخ ٢ تشرين الاول ١٩١١ جوابا على رسالة هذا الاخير التى سبقت الاشارة اليها . لقد جاء فى رسالة نيراتوف هذه قوله : « ان الوضع السياسى العام الذى يتميز بقيام المحادثات الفرنسية ـ الالمانية حول مراكش والموقف الحازم الذى وقفته ايطاليا

---

(١٠) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ قسم ٢ ص ٥٣ .

(١١) نفس المصدر ص ٥٣ .

(١٢) نفس المصدر ص ٥٣ .

فى المسألة الطرابلسية والذى ادى الى قيام الحرب هو حقا ملائم بشكل خاص للتفاوض مع تركيا حول تغيير اتفاقية ١٩٠٠ بشأن السكك الحديدية فى آسيا الصغرى وربما حول المصالح المتبادلة الاكثر عموما »[١٣] . لقد ارفق نيراتوف برسالته هذه مسودة لبيان كان عليه ان يكون اساسا للفاوضات التى سيجريها تشاريكوف مع المسؤولين الاتراك[١٤] واحتوى هذا البيان على أربعة مواد تتعلق بجملة من المسائل الخاصة بالعلاقات الروسية ـ العثمانية وفى مقدمتها قضية اعادة النظر فى اتفاقية ١٩٠٠ حول بناء السكك الحديدية فى آسيا الصغرى ومسألة المضايق .

لقد خصص بيان نيراتوف هذا لمشكلة المضايق مادته الثانية التى جاء نصها فى البيان كالآتي : « وفضلا عن ذلك تلتزم الحكومة الروسية الامبراطورية بان تبدى للحكومة التركية مساندة فعالة للمحافظة على النظام الحالى فى مضيقى البسفور والدردنيل وتعميمه ايضا على المناطق المجاورة فى حالة ما اذا تعرضت هذه المناطق لتهديد من جانب القوات المسلحة الاجنبية .

ومن اجل تسهيل تنفيذ الاجراء المذكور اعلاه تلتزم الحكومة العثمانية الامبراطورية من جانبها بعدم عرقلة مرور السفن الحربية الروسية خلال المضايق بشرط ان لا تتوقف هذه السفن فى مياه المضايق اذا لم يكن ذلك قد اشترط مسبقا »[١٥] .

ومما يجلب الانتباه فى رسالة نيراتوف هذه انه طلب من سفيره فى اسطنبول ان يقصر موضوع المفاوضات فى بداية الامر على قضية اعادة

---

(١٣) نفس المصدر ص ٥٩ .
(١٤) انظر مسودة البيان فى : العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٠ـ٦١ .
(١٥) المصدر السابق ، ص ٦١ .

النظر فى اتفاقية ١٩٠٠ وان يعتبر القضايا الاخرى الواردة فى البيان بما فيها قضية المضايق مجرد ذيول ثانوية لهذه الاتفاقية واعطاه الحق فى ان يتصرف بهذه المسائل « الثانوية » حسب مقتضيات الظروف وتبعا لسير المفاوضات(١٦) . وهنا يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى سؤال ملح هو : الا يبدو غريبا أن تقسم السياسية الخارجية الى قضايا أساسية واخرى ثانوية ، واذا كان الامر كذلك اليس من الغريب حقا ان تعتبر مسألة المضايق ، والكل يعلم مدى اهميتها لروسيا حتى ان نيراتوف نفسه اكد على هذه الاهمية اكثر من مرة ، من جملة المسائل الثانوية . الواقع ان موقف نيراتوف هذا يعكس تناقضا موقتا فى وجهات نظره فى هذه المسألة ، تناقضا يفسره لنا المؤرخ السوفيتى البارز الاستاذ كالكن بان قسما من الاوساط الحاكمة فى روسيا وفى مقدمتها وزير المالية كوكوفتسوف كان يعتقد بان من السابق لاوانه اثارة مسألة المضايق مرة اخرى بعد ان فشلت روسيا فى حلها لصالحها فى ١٩٠٨ ، ولهذا فان اعتبار نيراتوف لهذه المسألة من جملة « المسائل الثانوية » ما هو الا استجابة لآراء هذه الاوساط(١٧) .

واسرع تشاريكوف وهو واحد من ابرز دبلوماسيى القيصرية الروسية فى بداية القرن العشرين فى استخدام الصلاحية التى خوله اياها نيراتوف فى اجراء المفاوضات حسب وجهة نظره الخاصة التى كانت مغايرة لوجهة نظر نيراتوف . فتشاريكوف كان مقتنعا بان الحرب التركية ـ الايطالية قد وضعت مسألة المضايق فى المقام الاول وجعلتها فى مقدمة المسائل التى يجب بحثها مع الحكومة العثمانية ذلك ان توسيع مسرح العمليات الحربية بحيث

---

(١٦) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٩ .

(١٧) انظر : اى . س . كالكن ، « مسعى تشاريكوف الدبلوماسى فى ١٩١١ وموقف الدول الاوربية » ، **من تاريخ الحركات الاجتماعية والعلاقات الدولية ، موسكو ١٩٥٧ ، ص ٦٤٢** (بالروسية) .

يشمل منطقة المضايق يطرح – فى اعتقاده – امام الحكومة العثمانية مسألة ضمان امن الدولة العثمانية فى منطقة المضايق عن طريق عقد اتفاقية او حلف مع احدى الدول الكبرى ، وكانت روسيا فى رأيه هى الدولة الكبرى المؤهلة فى تلك الظروف للتحالف مع الدولة العثمانية ، على اعتبار انها كانت مستعدة لان تبدى للحكومة العثمانية مساندة فعالة للمحافظة على المضايق والمناطق المتاخمة لها فيما اذا تعرضت هذه المناطق لهجوم اجنبي مسلح(١٨) . وعلى هذا الاساس فان الخطر الذى يهدد اسطنبول والمضايق من جانب ايطاليا يمكن ان يدفع الحكومة العثمانية الى طلب المساعدة الروسية ولهذا اعتقد تشاريكوف بان الحكومة العثمانية لن تنظر فى هذه المسألة الى المطالب الروسية على انها اكراه لها من جانب روسيا وانما ستبدو لها بمثابة « الضمان المنقذ » على حد تعبيره(١٩) .

ومن الناحية الاخرى كان تشاريكوف قد لاحظ بحس الدبلوماسى البارع كيف ان الصعوبات التى كانت الدولة العثمانية تعانيها من جراء حربها مع ايطاليا قد شجعت الشعوب البلقانية على المطالبة مجددا بتحرير الاراضى البلقانية التى ما تزال خاضعة لسلطة الاتراك ولهذا فانه جهد لان يستغل ذلك باتجاه دفع الحكومة العثمانية نحو التقارب مع روسيا .

وبادر تشاريكوف بمجرد ان استلم من حكومته اشعارا بالبدء بالمفاوضات الى تسليم الصدر الاعظم فى ١٢ تشرين اول ١٩١١ اقتراحات الحكومة الروسية على شكل رسالة شخصية منه ، ووعد سعيد باشا من جانبه باعطاء الجواب خلال اسبوعين(٢٠) .

---

(١٨) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ٦١ .

(١٩) نفس المصدر ص ١١٩ .

(20) British Documents, Vol IX, pt. 1, P. 315.
315.

لقد تضمنت رسالة تشاريكوف الشخصية هذه مطالبة روسيا بان تمنح سفنها الحربية حق المرور فى المضايق ومقابل ذلك تساند الحكومة الروسية الدولة العثمانية فى الاحتفاظ باسطنبول والمناطق المجاورة لها وتضغط على الدول البلقانية من اجل ان تقيم مع الدولة العثمانية علاقات ودية • كذلك ابدت روسيا استعدادها لاعادة النظر فى نظام الامتيازات ولاتخاذ موقف ودى من مشاريع تركيا الاقتصادية والمالية (٢١) •

واهتمت الحكومة العثمانية التى كان موقفها فى الحرب مع ايطاليا يزداد حرجا بهذه المقترحات خصوصا وانها فشلت فى ان تجد لها عونا عند بريطانيا وفرنسا فقد رفضت هاتان الدولتان التوسط فى النزاع التركى ـ الايطالى ، فكان ذلك اضافة الى احتمال قصف الاسطول الايطالى للمضايق والقطنطينية واحتمال هجوم الدول البلقانية على الدولة العثمانية مما دفع الاوساط السياسية فى الدولة العثمانية الى ان تنظر بعين الاهتمام الى قضية التقارب مع روسيا والتحالف معها • وعلى هذا الاساس كانت الصحف التركية قد بدأت قبل ذلك بشن حملة صحفية واسعة لصالح التقارب مع روسيا واخذت الاوساط السياسية فى الدولة العثمانية تتحدث عن الفوائد التى ستجنيها الدولة العثمانية من جراء التقارب مع روسيا التى كانت فى رأى بعض هذه الاوساط الدولة الوحيدة من بين الدول الاوربية التى تستطيع ، فى الظروف السائدة فى تلك الفترة ، ان تؤثر على مجريات الامور بما يتفق وما يريده العثمانيون • فالتحالف مع روسيا سيمكن الحكومة العثمانية من استخدام نفوذها ومكانتها فى البلقان للامساك بالدول البلقانية عن الهجوم على الدولة العثمانية ، ومن هنا اخذت الحملة الصحفية الداعية الى التقرب من روسيا تشتد واشتركت فيها الصحف الرسمية والمستقلة

---

(٢١) انظر نص رسالة تشاريكوف الى الصدر الاعظم فى : العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ١٤٥ـ١٤٦ •

على السواء .

لقد كان تشاريكوف ميالا لتفسير هذا الميل الواضح الى روسيا على انه نتيجة لتقلص النفوذ الالمانى فى الدولة العثمانية بسبب تراجع المانيا امام فرنسا فى الاتفاقية التى عقدت بين الدولتين حول مراكش[٢٢] . غير انه قد جانب الصواب فى هذا الاستنتاج على ما يبدو . فهذا العطف المفاجىء على روسيا لم يكن فى نظر اغلبية الاوساط الحاكمة فى الدولة العثمانية الا وسيلة لتحقيق اهداف ثلاث هى اولا : الضغط على المانيا ودفعها الى التأثير على حليفتها ايطاليا من اجل ان توافق الاخيرة على عقد صلح ملائم للدولة العثمانية . وقد انتبه الى ذلك نيراتوف نفسه فكتب فى معرض حديثه عن الدعوات التى اخذت تطلقها صحيفة « تانين » الرسمية لصالح التقارب مع روسيا ، يقول : « ليس لدى ادنى وهم فيما يتعلق بسلامة نية هذه الجريدة وملهميها وانى على استعداد لان اصدق تفسيرا آخر للحملة الصحفية التى بدأت فى القسطنطينية فمن الصعب ان يكون الداهية سعيد باشا قد تخلى عن فكرة استخدام رغبة المانيا في الاحتفاظ بتركيا سائرة فى فلكها . ومما لاشك فيه بانه من اجل هذا الهدف لن يترك فرصة اخافة برلين من امكانية التقارب مع الدول الاخرى . ان مقالات « تانين » يمكن ان تكون قد اوحتها هذه الفكرة بالذات . ماذا يمكن لالمانيا ان تعطى تركيا ؟ يبدو ان القضية الجذرية التى تهم الاتراك هى عقد صلح ملائم مع ايطاليا »[٢٣] وثانيا : كسب الوقت وتأجيل الاصطدام المسلح مع الدول البلقانية التى اخذت تتحفز للانقضاض على الدولة العثمانية مستغلة تورطها فى الحرب

---

(٢٢) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ٢٦٣ حاشية ٣ .

(٢٣) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ٢٨٧ .

مع ايطاليا وحراجة موقفها بسبب ذلك • وثالثا : الضغط على بريطانيا ودفعها للتقرب من تركيا وذلك بالتلويح بامكانية التقارب مع روسيا وفتح المضايق لسفنها الحربية وهو امر لم تكن الاوساط الحاكمة البريطانية تقبله باى حال •

وهنا يجب ان نوكد بان فكرة التقارب مع روسيا والتحالف معها لم تكن تحظى باجماع الساسة الاتراك كلهم • فالواقع انه كان يجرى هناك صراع شديد بين انصار التقارب مع المانيا والنمسا ـ المجر وانصار التقارب مع روسيا (٢٤) • يضاف الى ذلك بان اغلبية الساسة العثمانيين من انصار التقارب مع روسيا كانوا يهتمون بالتقارب مع بريطانيا اكثر من اهتمامهم بالتقارب مع روسيا بل انهم كانوا ينظرون الى التقارب مع روسيا على انه وسيلة لتحقيق الهدف الاهم وهو التحالف مع بريطانيا لانهم كانوا يعتبرون بريطانيا دولة قوية تستطيع ان تضمن لهم اقاليم الدولة العثمانية ضد اى عدوان او تطاول من جانب الدول اخرى وكانوا يأملون فى الحصول على مساندتها فى حربهم مع ايطاليا • وقد عبر عن ذلك حيدر باشا (ابن مدحت باشا) حين كتب فى جريدة « تانين » مدافعا عن فكرة الاتفاق مع روسيا فقال : « ان هذا الاتفاق [اى الاتفاق الذى يدعو الى عقده مع روسيا] مع وجود الاتفاقية بين روسيا وانجلترا [اى اتفاقية ١٩٠٧] سيومن مستقبل تركيا »(٢٥) •

وانطلاقا من هذه التقديرات فوضت الحكومة العثمانية سفيرها فى لندن توفيق باشا ان يقترح على الحكومة البريطانية التحالف مع الدولة العثمانية • ونفذ السفير هذه المهمة فى ٣١ تشرين اول ١٩١١ فصرح لكرى قائلا : « اننا على استعداد للدخول فى محادثات حول التحالف مع بريطانيا لوحدها او للدخول فى الوفاق الودى القائم الآن بين بريطانيا والدول

---

(٢٤) نفس المصدر ص ٢٨٧ •

(٢٥) نقلا عن : اى • س • كالكن ، المصدر السابق ص ٦٣٨ •

الاخـرى »[٢٦] . وفى الوقت نفسه اقترحت الدولة العثمانية على الحكومة البريطانية ان تحمل ايطاليا على الموافقة على تسوية نزاعها مع الدولة العثمانية على اساس الاعتراف بسيادة السلطان على طرابلس[٢٧] .

غير ان التقديرات العثمانية لم تكن صائبة فقد رفض كرى الاقتراح العثماني بحجة انه ـ يتعارض مع مبدأ الحياد الذى اعلنته بريطانيا فى الحرب التركية ـ الايطالية ، معلنا فى الوقت نفسه عن استعداده لان يناقش مع الحكومة العثمانية اقتراحها هذا بعد ان يعقد الصلح بين الدولتين المتحاربتين[٢٨] .

ترى كيف يتوجب تفسير موقف بريطانيا هذا ؟ ألم يكن من مصلحتها القضاء على النفوذ الالمانى الآخذ بالتزايد فى الدولة العثمانية عن طريق التحالف مع هذه الاخيرة وربطها بعجلة الاستعمار البريطانى ؟ الواقع ان وراء هذا الرفض البريطانى اسباب مهمة فأولا :ـ لم تكن الدبلوماسية البريطانية ترغب فى ان تقيد نفسها بارتباط ما مع الدولة العثمانية لان ذلك من شأنه ان يجرد الحكومة البريطانية من حرية العمل فى البلدان العربية التى كان للاستعمار البريطانى فيها مصالح واسعة ، وثانيا :ـ لابد للتقارب بين بريطانيا والدولة العثمانية فى تلك الظروف ان ينعكس بشكل سلبى على العلاقات بين بريطانيا وايطاليا ولهذا فان الحكومة البريطانية التى كانت تعمل بدأب على استمالة ايطاليا اليها وابعادها عن الحلف الثلاثي لم تكن ترغب فى ان تضحى بأيطاليا من اجل التحالف مع الدولة العثمانية .

وبعد ان رفضت بريطانيا التحالف مع الدولة العثمانية لم تعد الاغلبية

---

(26) British Documents, Vol. LX pt. Appendix IV, P. 779.

(27) Ibid. P. 780.

(28) Ibid.

روسيا التى تريد ان تضمن لنفسها افضليات واضحة فى منطقة المضايق ، الامر الذى يمكن العثمانيين من التملص من الاستجابة للمطاليب الروسية دون ان يحملهم ذلك اية مسؤولية امام روسيا .

ولكن الدبلوماسية البريطانية الواسعة الخبرة لم تنطل عليها هذه الخدعة ، فعلى الرغم من انها كانت تراقب بدقة نشاط السفير الروسى فى اسطنبول الا انها كانت تحاول جاهدة ان لايبدو منها اى رد فعل سلبى على هذا النشاط ، ليس هذا فحسب وانما حاول البريطانيون ايضا ان يتركوا لدى الروس انطباعا مفاده انهم راضين عن نشاطهم فى العاصمة العثمانية ، فمثلا عندما اخبر كرى السفير الروسى فى لندن بنكندورف بالاقتراح العثمانى الذى طلبت فيه الحكومة العثمانية التحالف مع بريطانيا حاول ان ان يظهر المسألة كما لو ان بريطانيا تنظر بعين الرضا الى كل من روسيا وتركيا مؤكدا بان جوابه للحكومة العثمانية بالرفض قد صيغ بشكل دقيق لكي لا يلحق ضررا بآفاق تحسن العلاقات التركية ـ الروسية[٣٠] . واعتبر تشاريكوف موقف كرى هذا دليلا على استحسان الحكومة البريطانية للمشروع الروسى بشأن المضايق[٣١] ، وفاته ان دافع كرى الى ذلك هو رغبة الحكومة البريطانية فى عدم تأزيم العلاقات البريطانية ـ الروسية التى كانت آنذاك متوترة بالفعل بسبب مطامع البلدين فى ايران . لقد بلغت العلاقات بين البلدين من السوء حدا جعل بنكندورف يحذر حكومته من احتمال استقالة الوزارة البريطانية بسبب النزاع فى فارس[٣٢] . ولهذا

---

(30) British Documents, Vol IX, pt. 1, Appendix IV PP. 780-781.

(٣١) انظر : أى . س . كالكن ، المصدر السابق ص ٦٤٨ حاشية ٧٥ .

(٣٢) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ١ ، ص ١٣٢ .

فمما ينافى الحكمة فى مثل هذه الظروف ان تقف بريطانيا صراحة ضد مطامع روسيا اذ ان ذلك من شأنه ان يوهن عرى الوفاق الودى الذى كانت بريطانيا تعلق عليه امالا كبارا فى صدامها المقبل مع المانيا • يضاف الى ذلك ان الدبلوماسية البريطانية كانت تأمل فى ان اقتراح فتح المضايق للسفن الحربية الروسية سيجابه بمعارضة شديدة من جانب المانيا والنمسا ـ المجر(٣٣) ، كما انها كانت على علم تام بان المقترحات الروسية ستجابه فى تركيا نفسها بمعارضة شديدة من جانب الاحزاب السياسية هناك(٣٤) • وكان كل ذلك كاف فى نظر الحكومة البريطانية لان يؤدي الى فشل المقترحات الروسية بشأن المضايق دون ان تضطر بريطانيا لمعارضتها بشكل مباشر • ولهذا حاول كرى ان لا يحرك ساكنا ـ فى الظاهر ـ تجاه ما يجرى فى اسطنبول • لكن الصحف البريطانية وعلى الاخص جريدة التايمس شنت من الناحية الاخرى حملة عنيفة ضد روسيا واتهمت كرى بالتهاون تجاه المطامع الروسية فى الشرق الادنى •

وعلى الرغم من محاولة الدبلوماسية البريطانية التملص من اتخاذ موقف مباشر من المقترحات الروسية الا انها اضطرت فى آخر الامر الى ان تبدى وجهة نظرها بصراحة فى هذه القضية • فالحكومة الروسية التى كانت تدرك جيدا بأن مسألة المضايق لا يمكن ان تحل دون موافقة الدول الاوربية الاخرى وعلى الاخص بريطانيا وفرنسا طلبت من الحكومتين البريطانيا والفرنسية ان تبينا تحريريا موقفهما من مسألة فتح المضايق للسفن الحربية الروسية(٣٥) • فكان جواب كرى لبنكندورف على ذلك انه

---

(33) British Documens, Vol. IX. pt. 1, minute, P. 431.

(34) Ibid. P. 340.

(٣٥) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ٢٨٦ـ٢٨٧ •

ما يزال عند وجهة نظره التى اوضحها عام ١٩٠٨[٣٦] اى انه يوافق على فتح المضايق لجميع البلدان وليس لروسيا فقط وذلك امر لا يمكن ان تقبله الحكومة الروسية • لقد بينت الحكومة البريطانية فى جوابها الرسمى بان حالة الحرب التى توجد فيها الدولة العثمانية وعدم استقرار الحكومة العثمانية لم تكن تسمح بالبدء بمحادثات بهذا الشأن[٣٧] • وفضلا عن ذلك ابدى كرى شكه فى ملاءمة الوقت لمناقشة مثل هذه المسألة مستندا بذلك الى موقف الصحافة البريطانية التى كان قد اثارها بنفسه[٣٨] •

واضطرت الحكومة الروسية فى هذه المرة ايضا الى القبول بوجهة النظر البريطانية والتخلى مؤقتا عن اطماعها فى المضايق فبعد ان عاد وزير الخارجية الروسية سازونوف من اجازته سارع بالابراق الى تشاريكوف طالبا منه ان يخبر وزير الخارجية العثماني عاصم بيك : « باننا مضطرون لان ننهى الآن تبادل الآراء اللاحق وباننا سنكون مستعدين على الدوام لان نسمع بشكل شخصي رأى تركيا فى المسائل المطروحة »[٣٩] • وقد نفذ تشاريكوف هذه المهمة فانتهت بذلك المبادرة الروسية حول المضايق بالفشل• وكان السبب الاساسى فى هذا الفشل هو موقف الحكومة البريطانية المناهض للمطالب الروسية ، اذ أن بريطانيا هى القوة الرئيسية التى كانت تستطيع ان تؤثر على مجرى الحوادث فى الشروق الادنى وعلى الاخص فى كل ما يتعلق بالمضايق • وقد اقتنع تشاريكوف بذلك اخيرا فكتب يقول بانه بدون

---

(٣٦) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، ص ٣٢٥ •

(٣٧) أ • زاينجكوفسكي ، اعداد روسيا للحرب العالمية فى العلاقات الدولية ، موسكو ١٩٢٦ ، ص ٢٤٤ (بالروسية) •

(٣٨) انظر ، اى • س • كالكن ، المصدر السابق ص ٦٥٣-٦٥٤ •

(٣٩) العلاقات الدولية فى عصر الاستعمار ، سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ١ ، ص ١٩١ •

بريطانيا لا يمكن حل هذه المسألة بالصيغة التى تريدها روسيا[٤٠] ولكن بريطانيا لم تكن تريد لروسيا ان تستأثر بحل لمسألة المضايق يستجيب لمصالحها فالواقع ان وجهة نظر الحكومة البريطانية فى هذه القضية لم تتغير منذ الفترة التى كانت روسيا فيها الخصم الرئيسى لبريطانية فى الشرقين الادنى والاوسط • وظلت بريطانيا تعرقل الجهود الروسية الرامية لحل مشكلة المضايق بشكل يرضى روسيا ولم تكن تسمح حتى بالتفكير فى امكانية فتح المضايق لسفنهاالحربيةوقد جاء ذلكعلىلسان كرى صراحة حيث كتب يقول : « اننا لا نستطيع ان نوافق على ان يكون للسفن الحربية الروسية حقا استثنائيا فى المرور خلال المضايق اثناء الحرب التى تكون فيها تركيا محايدة »[٤١] • صحيح ان كرى عبر بذلك عن موقفه من محاولة روسيا تغيير نظام المضايق فى ١٩٠٨ ، ولكنه لم يغير موقفه هذا وظل ملتزما به فى ١٩١١ ايضا فقد ذكرت صحيفة « يني » ان كرى اعلن للسفير العثمانى فى لندن بان منح السفن الحربية الروسية حق المرور خلال المضايق سيكون بمثابة تهديد مستمر للسلم الاوربى وان الاتفاقيات يجب ان تحتفظ بقوتها فى كل الظروف[٤٢] •

وهكذا لم تكن الحكومة البريطانية عازمة اطلاقا على الاستجابة للمطالب الروسية لكنها كانت مضطرة بحكم الظروف الى ان تغير تكتيكها بشأن هذه المطالب فبروز المانيا كخصم رئيسى لبريطانيا على المسرح الدولى وحاجة بريطانيا تبعا لذلك للمساندة الروسية ضد هذا الخصم اجبرت الدبلوماسية البريطانيا على اخفاء معارضتها الصريحة لروسيا فى هذه القضية خلف واجهة

---

(٤٠) نفس المصدر ص ٢٠٦ •

(41) Grey of Fallodon, Twenty five years 1892-1916, Vol. 1. New York 1925, P. 172.

(٤٢) نقلا عن صحيفة « ريج » ٢٩ تشرين ثاني (١٢ كانون اول) ١٩١١ •

من العبارات الدبلوماسية المنمقة والى العمل على احباط المخططات الروسية بطرق اخرى غير المعارضة المباشرة ، وهدفها من ذلك الاحتفاظ بقضية المضايق كورقة رابحة فى يدها لمساومة روسيا من اجل ابقائها فى صفوف الوفاق الودى • فالحكومة البريطانية آخذة بنظر الاعتبار اهمية وضرورة المساعدة الروسية فى الصدام المقبل مع الحلف الثلاثى كانت تستغل مسألة المضايق لضمان هذه المساعدة حيث كانت تلوح بها لروسيا كتعويض تمنحه لها فى حالة ما اذا حاربت هذه الاخيرة الى جانب بريطانيا •

وازداد فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الاولى مباشرة النفوذ الالمانى فى الدولة العثمانية ، ولم تحرك الحكومة البريطانية التى كانت ما تزال تملك الكثير من وسائل الضغط على الدولة العثمانية ساكنا ازاء ذلك لانها كانت تسعى لاستبدال العداء الانكليزى ـ الروسى فى قضية المضايق بالعداء الالمانى ـ الروسى فتزيد بذلك من اعتماد القيصرية الروسية على بريطانيا • ومن هنا جاء سماح الاسطول البريطانى فى البحر المتوسط للسفينتين الالمانيتين « كبن » و « برسلاو » بالوصول الى اسطنبول فى آب ١٩١٤ ، ومن هنا جاء ايضا مجمل تصرف الدبلوماسية البريطانية الذى سهل لالمانيا ولانور باشا ادخال الدولة العثمانية فى الحرب الى جانب المانيا •

وعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب فعلا بدأ الانكليز يلمحون للقيصرية الروسية عن استعدادهم للاستجابة لمطاليبها بشأن المضايق فكان من نتيجة ذلك ان عقدت اتفاقية ١٩١٥ بين بريطانية وفرنسا وروسيا التى نصت على ضم اسطنبول والمضايق بعد انتصار الحلفاء على المانيا الى الامبراطورية الروسية • ومع ذلك فان التحفظات الكثيرة التى وردت فى هذه الاتفاقية كانت تمكن الحلفاء بسهولة نسبيا من التنصل من الوعود التى قطعوها لروسيا بهذا الخصوص •